٤ ــ شهدت الاربعينات تحول المشاركة العربية في الكفاح الفلسطيني الى وصاية عربية على فلسطين وشعبها . وجاء هذا التحول نتيجة لثلاثة عوامل هي : أ ــ قيام الجامعة العربية كمنظمة اقليمية لترعى مصالح الوطن العربي . ب ــ قيام الامم المتحدة التي لم تكن فلسطين عضوا فيها . ج ــ اتضاح تفوق القوة الصهيونية في فلسطين عند بدء الحرب الفلسطينية الاولى وتحول ذلك الصراع نتيجة لذلك الى حرب عربية ــ اسرائيلية .

ومع ان هذه العوامل الثلاثة أدت الى التنبيه الى ضرورة المشاركة العربية القومية في الكفاح ضد الغزو الصهيوني ، وبالتالي كان لها اثر ايجابي ، الا أنها اكتسبت طابعا سلبيا عندما تحولت المشاركة العربية الى وصاية سهلت طمس الطابع الفلسطيني للنزاع واظهرته بمظهر الخلاف بين عدد من الدول المتجاورة .

تضافرت ظروف الاربعينات ضد منجزات الكفاح المسلح الفلسطيني وساعدت على طمس الحقائق التي كشف عنها ، وبذلك اسعفت الدبلوماسية الصهيونية ومدتها بعمر جديد . وفي ضوء هذه الاحداث اصبح تجدد الكفاح الفلسطيني امرا ذو أهمية قصوى لمستقبل القضية الفلسطينية ، اذ لم يكن بمقدور غيره اعادة تأكيد الحقائق التي حجبها ضباب الاربعينات عن الانظار . فتفجرت الثورة الفلسطينية في منتصف العقد الماضي تلبية لهذه الضرورة . وسرى في عروق الشعب الفلسطيني وعي جديد بوجوده ، وعاد يبني لنفسه تنظيمات ويخلق قيادات قومية ، ويفرض نفسه من جديد طرفا في صراع كان ضحيته المنسية . وحدث كل ذلك هذه المرة في بيئة عالمية جديدة وعلى مرأى من مجتمع دولي اصدق تمثيلا للبشرية ، وبالتالي أكثر قدرة على الاستجابة للصرخة الفلسطينية الجديدة ، صرخة الثائر الذي ازاح بسلاحه الغبار المتراكم وبدد بحرارة ناره الضباب فكشف من جديد عن حقائق كان قد خلقها اخوة سبقوه في النضال ، وازال القناع عن اساطير كانوا قد هشموها . أعاد تأكيد وجوده ، وأعاد الى الذكرى ان للحلم الصهيوني ضحية . وعاد يؤكد من جديد أن الدولة الصهيونية قامت لتحرم شعبا من استقلاله ، وأن الصهيونية خلقت لا لتجمع شتات شعب بل لتشتت شعبا وتمزق أوصاله . وحرمت اسرائيل من قدرتها على ان تتقمص ثوب المظلوم وظهرت على حقيقتها : ظالما حرم شعبا من حقه في الحياة على أرضه . وبذلك فقدت اسرائيل أهم دعامات سياستها الخارجية واكثر أساليبها فعالية للحصول على عطف الامم وتأييدها .

ان محاولة اسرائيل الحالية لسد الثغرة التي أحدثها الكفاح الفلسطيني في علاقاتها الدولية تظهر قوة اعتمادها على تحالفها مع الامبريالية وعلى قدرتها على اخفاء ضحيتها . ويتضح ذلك من كون محاولتها لترقيع الصدع الذي ظهر في مكانتها الدولية تدور حول المرتكزات القديمة ذاتها :

١ ــ نتيجة لفقدانها عطف العالم الثائر على الاستعمار ، تجد اسرائيل نفسها اليوم مضطرة الى الاتكال بقوة اكبر وصراحة اكثر على مساندة ودعم القوى الامبريالية . لقد كانت الحركة الصهيونية منذ مولدها مرتبطة ارتباطا عضويا بالاستعمار . لكن الاساطير التي استترت وراءها حتى حطمها الكفاح الفلسطيني مكنتها من الظهور وكأنها جزء من حركة التحرر العالمية العاملة على نصرة حق الشعوب في تقرير مصيرها . ولما انكشف أمرها ولم يعد بامكانها التنكر كدولة من دول العالم الثالث ، لم يعد لها خيار سوى العودة الى اصولها والارتماء بلا خجل في احضان امها الحقيقية .